Diyala Journal
for Human Research
Website:
djhr.uodiyala.edu.iq

مجلة ديالى
للبحوث الإنسانية

p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838

مجلة ديالى للبحوث الانسانية

العدد (100) المجلد (3) حزيران 2024

المرجعيات الدينية في شعر رابعة العدوية

Religious references in the texts of Rabaa al-Adawiya

المدرس المساعد: حسين كنعان غائب
جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية

Abstract

Praise be to God, who created man in the best manner, and may blessings and peace be upon our master and beloved Muhammad, the Chosen One, and upon his good and pure family and companions.

And after:

This research aims to identify the most critical cultural (religious) references to one of the poets of the Abbasid era, namely the poet Rabi'a Al-Adawiya. Her Arab-Islamic cultural (spiritual) heritage has influenced her in many writings. This research has tried to reflect the experiences of this influence and to prove the multiple historical relationships that These influences reached the poet's imagination; from it, we say that cultural references are a complex mixture of culture and reference, which means bringing or using one of the cultural tributaries and employing it in a text in prose or poetry. The novelist or poet uses it and mixes these tributaries in his work to form a creative text full of science. Cultures, leaving in his text or artistic work an aesthetic credited to him, and cultural references in their form combine several diverse references such as history, heritage, religion, philosophy, politics, etc. Thus, the cultural references are different, and the writer may use them all in his text or bring up only some of them.

Email: ha3733611@gmail.com

Published: 1- 6-2024

Keywords: المرجعيات ، الدين ، رابعة

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص
CC BY 4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الملخص

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد المصطفى وعلى آلهِ وصحبهِ الطيبين الطاهرين.

وبعد:

يهدف هذا البحث في الوقوف على أهم المرجعيات الثقافية (الدينية) لشاعرة من شعراء العصر العباسي وهي الشاعرة رابعة العدوية، تأثرت في كثير من كتاباتها بالموروث الثقافي (الديني) الاسلامي العربي، وقد حاول هذا البحث في عكس تجارب هذا التأثر، وإثبات العلاقات التاريخية المتعددة التي أوصلت تلك المؤثرات إلى خيال الشاعرة، ومنه نقول أن المرجعيات الثقافية هي مزيج مركب بين الثقافة والمرجعية، والتي تعني استقدام أو استخدام إحدى الروافد الثقافية وتوظيفها في نص نثرًا أو شعرًا ما، يستعملها الروائي أو الشاعر ويمزج في عمله هذه الروافد لتشكل له نصًا إبداعيًا مليئًا بالعلوم والثقافات، فتترك في نصه أو عمله الفني جمالية تحسب له، والمرجعيات الثقافية في حلتها تجمع بين عدة مرجعيات متنوعة مثل التاريخ والتراث والدين والفلسفة والسياسة وغيرها، بذلك تكون المرجعيات الثقافية مختلفة، فقد يستخدمها الكاتب في نصه كلها أو يستحضر بعضها فقط .

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بُعِث رحمةً للعالمين سيدنا وحبيبنا محمد الأمين (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) .

وبعد...

إنَّ البحث في الشعر العربي يفتح لنا آفاقًا كثيرة؛ لما يحتويه من المعاني الغزيرة والمتعددة، ولاسيما أن الشعر العربي هو وسيلة إعلامية قبل أن يكون نتاجاً فنياً إبداعياً، وفي العصر العباسي انفتحت الدولة العربية الإسلامية على الأجناس الأخرى بسبب اتساع رقعة الفتوحات، ودخلت أقوام هذه البيئات في الإسلام، وأصبح الاختلاط بهم تحت أخوة الدين هو الأساس الثابت.

وعليه شكل هذا الاتساع والانفتاح تعددية في الثقافات والفهم الخاص عند الشاعر، مما أثر في المجتمع والشاعر على السواء، فالتفاعل الثقافي يتجلى من منبع مرجعيات الفنان الثقافية، وينعكس مبدئيًا على نشاطاته الادبية، ليكون هذا التمازج الإبداعي حاضنًا لمجالات وضروب ثقافية شتى تحت غطاء أدبي فني بحت، ليختلط هذا وذاك فينتج نص أدبي بإتقان وامتياز بكل مقاييس الإبداع.

فالمرجعيات الثقافية هي تلك الخلفيات المعرفية المتنوعة، من دين وتاريخ وأدب وتراث، وفلسفة وسياسة وإلى غير ذلك من تنوع ثقافي في جل مناحي الحياة، وباعتبار أن توظيف هذه المرجعيات في الخطاب الأدبي، يجعله أكثر بلاغةً وجزالةً وقوةً في الأسلوب واللغة، كما تضفي عليه لمسة ثقافية مميزة،

فلا يكاد يخلو شعر المسلمين من التلميحات القرآنية المعروفة، أو المرجعية الدينية، الذي يمثل أساس موضوعنا، لأنها كانت تمثل ظاهرة أو علامة شائعة في الشعر العربي آنذاك، فأصبحت ضرورة ماسة للبحث والكشف عن دلالاتها العميقة. فتلجأ الشاعرة إلى التضرع والتوسل والمناجاة لله تعالى تارةً، والتعبير عن حبها ومدى تعلقها بالخالق سبحانه وتعالى تارةً أخرى، وتحت تأثير هذه الأمور تظهر مدى تأثر شاعرتنا بالمفردات القرآنية الشريفة والموروث الديني الإسلامي، وعمق فهمها لمعاني الآيات القرآنية وتوظيفها في نصوصها الشعرية، وهذا يرشدنا إلى تحديد تلك الظواهر وتتبعها والتعامل معها على وفق مرجعياتها وعمقها المعرفي، التي تحتاج إلى قراءات باطنية عديدة لفك رموزها وإيحاءها داخل النتاج الادبي. فكانت رابعة العدوية مقلةً في أشعارها ولم يجمع لها ديوان وإنما كان شعرها متناثرًا في كتب الأدب ضمن تيار الشعر الصوفي، وسبب ذلك برأينا يعود إلى انتشار أخبارها وتوبتها النصوحة بين النقاد وعلماء الأدب الصوفي. مما جعلها محط انظار النقاد وكتاباتهم.

المبحث الأول

رابعة العدوية (مولدها ونسبها، موضوعاها ، وفاتها)

أولاً: مولدها ونسبها:

ولدت الشاعرة الصوفية رابعة العدوية في مدينة البصرة الفيحاء في أوائل القرن الثاني للهجرة قبل 50هـ في بيت فقير، فعانت في طفولتها من الفقر والبؤس والحرمان، وازدادت معاناتها بوفاة أبيها وضاقت بها الدنيا والحياة وبعد اصابة مدينتها الجوع والقحط الشديد لجأت وأخواتها الثلاث يهمن على وجوههن من البلاد بحثًا عن المأوى ولقمة العيش الرغيد، يُقال أن رابعة العدوية فارسية الأصل وانسب أبوها بالولاء إلى آل عتيك وهم بطن من بطون قيس ولهذا كان الجاحظ يسميها بـ (رابعة القيسية) أما كنيتها (فأم الخير) وسماها والدها (رابعة) لأنها أصغر بناته الأربعة. كما رفضت الزواج بأي رجل بعد أن تقدم لها الكثيرون من بينهم أمير البصرة محمد بن سليمان الهاشمي وعبدالواحد بن زيد ويُروى أن الحسن البصري كان أحد من تقدموا إليها فرفضت وان كان أبرز من تأثرت بهم في مسيرة التصوف[1].

ثانيًا: موضوعاتها

اشتهرت رابعة العدوية القيسية بأنها كانت جارية فقيرة اعتقها سادتها فاحترفت العزف على الناي وعاشت مدة كما تعيش القيان ثم تابت وزهدت وبالغت في التقشف والعبادة وظهرت في أقوالها ومسلكها البوادر الأولى للتصوف الاسلامي ولأشعار الحب الالهي[2]. وبعد ذلك كرست رابعة حياتها للعبادة والمناجاة والتضرع للذات الالهية فقط، ويميل مؤرخو التصوف الإسلامي إلى القول بأن رابعة العدوية هي أول من حولت التصوف من الخضوع لعامل الحب، وإنها أول من استعملت لفظ الحب استعمالًا حقيقيًا

في مناجاتها وأقوالها المنثورة والمنظومة، وعلى يدها ظهرت العبادة من أجل محبة الله لا من أجل الخوف من النار أو الطمع في الجنة وما فيها. وعليه فإنها اقتصرت في أشعارها ذكر الحب الإلهي وكذلك يُرَجع مؤرخو التصوف لرابعة إدخال مفهوم العشق الإلهي في التصوف الإسلامي[3]. إذًا لا بد لنا أن نقف قليلًا عند بيان مفهوم العشق الذي قال عنه العرب قديمًا هو أعلى درجة من درجات المحبة.

ثالثًا: مفهوم العشق لغةً واصطلاحًا:

1. لغةً : العِشْقُ: فرط الحب وقيل: هو عُجْب المحب بالمحبوب يكون في عَفا الحُبّ ودَعارته؛ عَشِقَه يَعْشَقُه عشقًا وعَشَقًا وتَعَشَّقَهُ وقيل: التَّعَشُّق ، تكلف العِشقِ، وقيل العشق الاسم والعشق المصدر، قال الاعشى: وما بي من سقمٍ وما بي مَعشَ وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن الحب والعشق: إيهما أحمد فقال: الحب لأن العشق فيه إفراط، وسمي العاشق عاشقًا لأنه يذبل من شدة الهوى كما تذبل العَشَقَةُ إذا قطعت ، وقال أيضا أبن الاعرابي: العُشُقُ المصلحون غُرُوس الرياحين ومُسَوُّوها، قال والعشق من الإبل الذي يلزم طروقته ولا يحن إلى غيرها[4].

2. اصطلاحًا: يعرف العشق بأنه يشكل الدرجة القصوى والأعلى من مراحل الحب والمحبة، فالإنسان خُلِقَ مفطورًا على المحبة والرغبة في الوصول إلى الكمال المطلق، فيعرف الهروي المحبة بأنها: (تعلق القلب بين الهمة والأنس) أي يعني تعلق القلب بالمحبوب تعلقًا حائرًا وتائِهًا بين طلب المحب لمحبوبة طلبًا لا ينقطع، وبين إنسه بمحبوبة[5]، والمحب إذا كان واعيًا بحبه ومكتسبًا له سمي "مُحبًّا" وإذا كان مختطفًا بالحب سمي "عاشقًا" والفرق بينهما –فيما يقول شيوخ التصوف– أن المحب مريد والعاشق مراد[6]. ويوضح لنا الإمام الغزالي مفهوم العشق الإلهي فيقول: ((فاعلم أن من عرف الله أحبَّه لا محالة، ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد معرفته، والمحبة إذا تأكدت سُميت عشقًا، فلا معنى للعشق إلا محبة مؤكدة مفرطة، ولذلك قالت العرب: "إنَّ محمدًا قد عشق ربه" لمَّا رأوهُ يتخلى للعبادة في غار حراء))[7].

رابعًا: وفاتها

اختلف الباحثون عن تاريخ وفاتها فمنهم من قال أنها توفيت سنة 180هـ ، ومنهم من قال أنها توفيت سنة 185 هـ (والله اعلم).

المبحث الثاني

المرجعيات الدينية

إنَّ المرجعيات الدينية والإسلامية كانت هي مصدر إلهام الشعراء والأدباء، وذلك بعدّ ما كانت شاملة لكل المقدسات العقائدية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وجل شعائر الدين الإسلامي، لقد دأب الشعراء على النهل من مضامين المصادر الدينية المقدسة وشعائرها، ليوظفوها في أعمالهم الأدبية، لأن ذلك التوظيف يضفي على إبداعاتهم مسحة من البعد الأخلاقي والثقافي الواعي[8]. "فالدين الإسلامي يحتوي على قيم أخلاقية عالية ويزخر بدلالات إنسانية عتيقة"[9]، أي أنه يحمل كل معاني الأخلاق السامية، والمبادئ الإنسانية الصافية، فكل هذا ينعكس تلقائيًا على نتاج الشاعر والاديب فتظهر إبداعاتهِ في حلة رائعة عليها هالة نورانية إيمانية.

فالشاعر أو الأديب حين تنعكس مرجعيتهِ الدينية على نتاجهِ الأدبي، يُظهر لنا أجمل وأروع ما تجود به قريحته، وكان حظ شاعرتنا رابعة العدوية مثل حظ الآخرين حين جعلت من مرجعيتها الدينية المنطلق الأول في تدوين أشعارها، فاستقت من الدين الإسلامي وكل ما يصب في بوتقتها من ألفاظ ومعاني وآيات من النص القرآني، والاحاديث النبوية الشريفة وقصص الأنبياء والرسل والملاحم والبطولات الإسلامية[10].

فكان حظ شاعرتنا كحظ الآخرين حين جعلت من مرجعيتها الدينية المنطلق الأول في تدوين قصائدها وأشعارها، فاستقت من الدين الإسلامي وكل ما يصب في بوتقته من ألفاظ ومعاني وآيات من النص القرآني، فطعمت لغتها بروح الدين الإسلامي من حيث أسلوبها في تركيبتها وبناءها الشعري. فقامت بتناص مع عدة سور من القرآن الكريم، فنراها هنا كثيرة البكاء من خشية الله والبكاء شوقًا إلى لقياه ونيل رضاه. فقالت رابعة تصف حالات الحزن والخوف الذي يعتريها وتُنفس عنها بالبكاء، فتقول[11]:

(من الطويل)

أ للزاد أبكي أم لطول مسافتي؟ .... وزادي قليل ما أراه مُبلّغي

أتحرقني بالنار يا غاية المنى .... فأين رجائي فيك أين محبّتي؟

إنَّ الخوف هو المخافة من الله سبحانه وتعالى وهو أن يخاف المؤمن منه تعالى أن يعاقبه في الدنيا والآخرة على تقصيره في أموره الدنيوية، ففي هذا المقطع من شعرها تجلت سورة (آل عمران) في قوله ﴿ ﴾ ، فالإنسان المؤمن هو الذي يكون الله تعالى ظاهرًا أمامه، ويبحث عن رضا الله تعالى في جميع أموره النظرية والعلمية والتطبيقية، فإذا ارتكب خطأً فلا يبرر لنفسه بـ (سوف، وعسى) وإنما يسارع إلى التوبة وطلب المغفرة، وهو يدرك تمامًا أن لا مهرب ولجوء من الله إلا إليه[12].

وهكذا كانت شخصية رابعة العدوية حكيمة عالمة كثيرة البكاء خوفًا من الله، قال عنها عبد الله بن عيسى: ((دخلت على رابعة العدوية بيتها فرأيت على وجهها النور وكانت كثيرة البكاء فقرأ رجل عندها آية من القرآن الكريم فيها ذكر النار فصاحت ثم سقطت))[13] . وقال أيضا: كثيرًا ما أدخل عليها فـ((أسمع وقع دموعها على البوري مثل الوكف))[14]. وقال عنها جعفر بن سليمان: ((أخذ بيدي سفيان الثوري وقال مُر بنا إلى المؤدبة التي لا أجد من استريح إليه إذا فارقتها، فلما دخلنا عليها رفع سفيان يده، وقال اللهم إني أسألك السلامة، فبكت رابعة، فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: أنت عرضتني للبكاء. فقال: وكيف. قالت: أما علمت أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها، فكيف وأنت متلطخ بها))[15].

كما نرى رابعة العدوية في موضع آخر من شعرها تستحضر سورة المائدة وتحديدًا في هذه الآية الكريمة ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ المائدة: ٥٤، من خلال هذه الآية نرى تأثرها بالقرآن الكريم إذ نجده في قولها[16]: (من المتقارب)

عرَفتُ الهَوى مذ عرفت هواك .... وأغلقتُ قلبي من عاداك
وقمت أُناجيك يا من ترى .... خفايا القلوب ولسنا نراكا
أحـبك حبين حب الهوى .... وحبًا لأنك أهلٌ لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى .... فشغلني بذكرك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهل له .... فكشفك للحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي .... ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

نلاحظ هنا من خلال قراءتنا للأبيات المتقدمة أنْ جماليته تكمن في الرئة والنفس القرآني الذي اخرجته الشاعرة من عروقها، لتبرهن لنا بأنْ العبدَ يخلص إلى الله تعالى ويختص به فيخلصه من التعلق بالدنيا ومغرياتها وزينتها. وهذه كانت غاية شاعرتنا من الحياة وهدفها الوحيد الذي طالما طمحت إليه، فالمحبة هي: ((الابتهاج بشهود الحق، وتعلق القلب به معرضًا عن الخلق معتكفًا على المحبوب بجوامع هواه غير ملتفت إلى سواه))[17]. فذهبت رابعة إلى وصف حبها وتعلقها بالله تعالى، ففرغت حياتها بترديد اسمه عمن سواه، فدخلت رابعة إلى مرحلة الحب والعشق الإلهي، فإنها لا يشغلها شاغل عن ذكر الله فهي لا تشعر إلا بجلاله سبحانه وتعالى، ففي الأبيات السالفة ميزت رابعة بين نوعين من الحب: حب الوداد أو الهوى، والحب الخالص. والاول حب ناقص والثاني حب كامل، فهي تأخذ بهما معًا، لتشكل لديها نوعًا فريدًا من الحب الفطري لله تعالى[18].

وهناك تفسيرات دقيقة وأراء مهمة لهذا الابيات الشعرية التي أدلى بها الصوفية؛ فنراهم يقولون: ((فأما قولها: حب الهوى، وقولها أنت أهلٌ له، وتفريقها بين الحبين فأنه يحتاج إلى تفصيل حتى يقف عليه من لا يعرفه، ويخبره من لم يشهده. وفي تسميته ونعت وصفة إنكارٌ من ذوي العقول ممن لا ذوق

له منه، ولا قدم فيه؛ ولكنا نحمل ذلك وندل عليه من عرفه: يعني حب الهوى: أني رأيتك فأحببتك عن مشاهدة اليقين، لا عن خبر وسمع تصديق من طريق النعم والإحسان، فتختلف محبتي إذا تغيرت الأفعال لاختلاف ذلك عليَّ؛ ولكن محبتي من طريق العيان، فقَرُبْتُ منك، وهربتُ إليك، فاشتغلت بك لما تفرغتُ لك، وانقطعت عمن سواك))[19] كما قال المحب:

فَرَّغَتْ قلبها اشتغالًا بذكري .... وكذا كلُ فارغٍ مشغولُ[20]

((أما الحب الثاني الذي هو أهلٌ له تعني حب التعظيم والإجلال لوجه العظيم ذي الجلال. تقول: ثم إني مع ذلك لا أستحق هذا الحب ولا أستأهل أن أنظر إليك في الآخرة على الكشف والعيان في محل الرضوان، لأن حبي لك لا يوجب لك جزاءً عليه، بل يوجب عليَّ كل شيء مما لا أطيقه ولا أقوم بحقك فيه أبدًا؛ إذ كنت قد أحببتك فلزمني خوف التقصير، ووجب عليَّ الحياء من قلة الوفاء، والخوف لما تعرضت به من حُبك إذ ليس كمثلك شيء))[21].

فكانت رابعة مؤمنة وعابدة وزاهدة ممن عزف عن الدنيا وملذاتها واعتكفت إلى الله تعالى فأخلصت له في التعبد والطاعة والمحبة فكانت تراه في كل شيء ولا ترى شيئًا خاليًا منه، فقالت: ((ما عبدتك خوفًا من نارك ولا طمعًا في جنتك ولكن حبًا لذاتك))[22]. وقال لها ذات مرة سفيان الثوري: ((لكل عبدٍ شريطة، ولكل إيمان حقيقة، ولكن ما حقيقة إيمانك؟ فقالت: ما عبدت الله خوفًا من الله ، فأكون كأمة السوء إن خافت عملت، ولا حبًا للجنة فأكون كأمة السوء إن أعطيت عملت، ولكني عبدته حبًا له وشوقًا إليه))[23].

ذهبت شاعرتنا في موضع آخر إلى وصف حبها وعشقها لله تعالى، فتقول بأنها شغلت حياتها بذكره عمن سواه. فقالت: (من الكامل)

ولقد جعلتك في الفؤاد محدّثي .... وَأَبَحْتُ جسمي من أراد جُلوسي

فالجسمُ مني للجليسِ مؤانسٌ .... وحبيبُ قلبي في الفؤاد أنيسي[24]

في هذه الأبيات تبين لنا رابعة بأن قلبها امتلأ حبًا بالله تعالى وإنه هو وحده يسكن فيه، فهي تستدعي قوله تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ القصص: ١٠، لتبين لنا بأن فؤادها أصبح ملآن بذكر الله سبحانه وتعالى، على غرار فؤاد أم موسى حين ملئت بذكر ابنها حتى فاضت، فعبر عن الملء بالفراغ من ضده، فأرادت رابعة تسليط الضوء على هذه الفكرة في ابياتها[25]، وهذا التمازج يدل على تأثرها العميق في الآيات القرآنية الشريفة، فشكل تداخلًا في النص الشعري مما أكسبه رونقًا وجمالًا إضافيًا، وهذا التوافق الفريد من نوعه بين أبياتها الشعرية وتضميناتها القرآنية يوضح لنا بلا شك من تمكن الشاعرة من لغة القرآن وتفسيره، ومعرفة دلالة السور ومقاصدها الحقيقية، مما أدى إلى تسخيرها لتأدية المعنى المراد في نصوصها الشعرية.

فنرى رابعة إنها كرست حياتها ووقتها لله تعالى تعبده وتتوسل به وحده لا لأحدٍ غيره، وما يثبت ذلك إذ إنها رفضت كل من تقدم لخطبتها، فيذكر عبد الرحمن بدوي أخبارها في ذلك نقلًا عن (عين القضاة الهمذاني في شكواه، والمرتضى الزبيدي في اتحاف السادة المتقين)[26]، فقال عين القضاة عنها: ((وخطبها عبد الواحد بن زيد، مع علو شأنه، فهجرته أيامًا حتى شفع له إليها إخوانهُ. فلما دخل عليها قالت له: يا شهواني أطلب شهوانية مثلك!))، ورواه الزبيدي بصورة أكمل فقال: ((وخطبها عبدالواحد بن زيد فحجبته أيامًا حتى سئلت أن يدخل عليها، فقالت له: يا شهواني أطلب شهوانية مثلك! أيَّ شيءٍ رأيت في من آله الشهوة))[27]. وتقول في أبياتها وهي ترد على من يخطبها وتتغنى بمحبة الحق سبحانه وتعالى، وتخص وقتها وحياتها له وحده عز وجل: (من الرمل)

راحتي يا إخوتي في خلوتي .... وحبيبي دائمًا في حضرتي
لم أجد لي عن هواه عوضًا .... وهواه في البرايا محنتي
حيثما كنت أشاهد حسنه .... فهو محرابي إليه قبلتي
إن أمت وجدًا وما ثم رضا .... وأعناني في الورى وا شقوتي
يا طبيب القلب يا كل المنى .... جد بوصل منك يشفي مهجتي
يا سروري يا حياتي دائمًا .... نشأتي منك وأيضا نشوتي
قد هجرت الخلق جمعًا أرتجي .... منك وصلًا فهو أقصى منيتي[28]

فإنها تحرص على عدم الزواج بأي شخص يتقدم لها وتصر على العكوف لعبادة الله تعالى والتضرع له، والتزهد في الدنيا عن كل شهوة فهي ترى إن الزواج هو تلبية لرغبات النفس ولذة من ملذات الدنيا الزائلة، فهي أصرت أن تفني نفسها في مرضاة الله والفناء به سبحانه وتعالى، وترى إن الانشغال بغير الله مذلة للنفس أو الروح التي كرمها الله وأعطاها إياها، ففي هذا النص وظفت الشاعرة قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ يوسف: ٣١ ، وهذا الفعل بنظر الشاعرة هو تغافل العبد عن النفس والخلق عند مشاهدة جمال مخلوق معين، فكيف سيكون تغافل العبد عندما يشهد ببصيرتهِ جمال ربه عز وجل[29]، ويتضح هذا المبدأ الذي اتخذته شاعرتنا منهاجًا لحياتها من خلال لقاء جرى بينها وبين الحسن البصري الذي ((قال لرابعة: أترغبين في أن نتزوج ونعقد العقد. فقالت: يعقد عقد النكاح على موجود، وهنا قد انعدم الوجود، لأنني فنيت عن نفسي، وبقيت به، وأنا كلي ملكه وتحت أمره))[30]. فكانت حياة رابعة ونهجها في الدنيا هو الاختصاص بالله والتفرغ لعبادته والابتعاد عن ما يشغلها عنه سبحانه وتعالى، وهي ليست من اللائي يغريهنْ المال والجاه والسلطان حتى تتنازل ما تعتقد به منذ فطرتها، وإن كل من يمك هذه الاشياء لا يمكن أن يستحوض على قلبها ويغريها كي تنشغل بغير الله طرفة عين أبدا[31]. ومن

خلال هذه المواقف يتضح لنا نظريتها في الحب فتؤيد نظريتها في الزواج، فإذا كان الزواج الحق هو زواج الحب، والحبيب الوحيد هو الله تعالى، وهذا هو الشيء المختلف في رؤية رابعة في التجرد والعزوبية[32].

الزهد والتعبد لله تعالى في الدنيا منهجٌ سارت عليه رابعة العدوية في حياتها، وقضت عمرها في غرفة صغيرة تفتقر لأصغر سبل الوقاية من مخاطر الشتاء وزمهرته وأمطارِه، ومن حرارة الصيف وتهيجاتهِ. وكان فيه من الاغراض سِجاد تصلي عليه، وتنام عليه، وخرقة خضراء من صوف تتدثر بها في البرد القارص، و وعاء من فخار (حِب) تشرب منه الماء. وإن لها ابيات تؤكد شدة حبها للذات الالهية تدور حول الدعاء والتوسل والضراعة والتقرب للذات الالهية، وإيمانها بالله وهو الذي يرزق عبده من حيث لا يحتسب، فإن جل ما اسلفنا تستهله الشاعرة في اشعارها وتطعمه بالمرجعية الدينية[33]، كما في قولها: (من الخفيف)

يا سروري ومنيتي وعمادي .... وانيسي وعدتي ومرادي
أنت روح الفؤاد أنت رجائي .... أنت مؤنسي وشوقك زادي
أنت لولاك يا حياتي وإني .... ما تشتت في فسيح البلادِ
كم بدت منة وكم لك عندي .... من عطاء ونعمةٍ وايادي
حبك الآن بغيتي ونعيمي .... وجلاء لعين قلبي الصادي
ليس لي عنك ما حييت براح .... أنت مني ممكن في السوادِ
أن تكن راضيًا عليَّ فأني .... يا منى القلب قد بدا اسعادي[34]

فالشاعرة هنا في هذا النص استحضرت قوله تعالى: چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ البقرة: ٢١٢، وقوله تعالى: چ ئى ئى ى ى ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح چ آل عمران: ٣٧، لتبين لنا شدة حبها لله تعالى وكيف تدعوه وتتضرع له، وكيف رُزقت بهذا الايمان الرصين في التوكل على الله والاستعانة به، وإنَّ الله تعالى وحده هو الرزاق الذي يمد عبده بالهبات والعطايا من خزائنهِ المليئة التي لا تنفد أبدًا، فهي تتفنن في استعمال المرجعية القرآنية، إذ تستوحي المعنى القرآني في ابياتها الشعرية، وتشير له إشارات خفية يفهمها المتلقي عند النظر والتمحيص فيه، لذلك سمي هذا النوع من الاقتباس بالاقتباس غير المباشر[35]، ويقصد به ((ما أشار إليه من الآيات من غير أن يلتزم لفظها وتركيبها))[36]، فهي تستعمل معاني الآيات القرآنية وتُطرأ عليه بعض التغييرات في التركيب واللغة والدلالة على وفق المعنى الذي تروم التعبير عنه، وإيصال الفكرة للمتلقي، فنراها بعد ان تقبل على صلاتها حتى مطلع الفجر تسأل الله هل قبل منها ليلتها فتهنأ، أم ردها عليها فتأسى، وإنها تعاهد ربها على أن ترضا بكلتا الحالتين : فسواء لديها أقبل الله أعمالها أم لم

يقبلها، فتسلح وتناضل، لأنها ترى في هذا الجهاد النفسي المستمر وحده معنى حياتها، ولا تهتم إن كلل بالقبول أو لم يُكلل. لذا نراها تقول بعبارة تنم عن إخلاص لا حد له في العبادة والتضرع: ((وعزتك لو طردتني عن بابك، ما برحتُ عنه، لما وقع في قلبي من محبتك))[37] .

الخاتمة ونتائج البحث:

- إنَّ رابعة العدوية كانت من متصوفات البصرة الفيحاء هي أم الخير رابعة بنت إسماعيل من آل عتيك من بني قيس .
- ولدت ونشأت وترعرعت في مدينة البصرة في بطون بني عدوة الذين عرفوا بالتقوى والصلاح وإنهم من المتصوفة، وهي الابنة الرابعة لأسرة مؤمنة عابدة وملتزمة، عرف أبوها بالايمان وعزة النفس والعفاف على الرغم من فقره وعوزه.
- إنَّ رابعة العدوية كانت على قدر عالي من الثقافة القرآنية، وامكانيتها في فهم وتفسير الآيات ومعرفة دلالاتها فكانت تميل للجانب الديني في أشعارها.
- استطاعت رابعة أن تربط مرجعياتها الدينية بظروفها الشخصية وأن تقف على أهم الاحداث التي تمر بها في حياتها، فجعلت من مرجعيتها وسيلةً للبوح عن آهاتها من خلال نصوصها الشعرية.
- استعملت رابعة بعض الالفاظ في شعرها التي كانت متأثرةً بالغرض المشبع بالانكسار والتوبة والترجي لله تعالى .
- من خلال قراءتنا لنصوص رابعة نراها في تأثير عميق في القرآن الكريم ومعرفة كيفية استعمال هذه الآيات المباركة والاستدلال بها للتعبير عن ما يدور في خيالها من حب لله تعالى ومدى التعلق به.
- إن رابعة العدوية تمكنت من التوظيف الفني للآيات القرآنية في نصوصها الشعرية من لغة قوية وأسلوب سلس وجزل وصور شعرية عميقة ، مما جعل المتلقي يشعر بمدى قوة العلاقة والايمان والتعلق الذي بينته الشاعرة بربها عز وجل .

الهوامش

1. **الرمز الصوفي في قصيدة "احبك حبين" لرابعة العدوية: رسالة ماجستير، جامعة أحمد دراية ادرار، إشراف: د. نواصر سعيد، الباحثتين: بركاوي شيماء، كرومي كريمة، 2022م، 29. نقلًا عن: موسوعة شاعرات العرب من الجاهلية حتى نهاية القرن العشرين: 161، وموسوعة أميرات الشعر العربي : 164.**
2. **أشعار الحب الالهي من رابعة العدوية إلى ابن الفارض: د. نجم مجيد علي، الجامعة المستنصرية، مجلة كلية التربية الاساسية، العدد الثامن والخمسون، 2009، 6 . نقلًا عن : تصويف الزهد وظهور اشعار الحب الالهي: 13 .**

3. العشق الالهي عن المتصوفة (رابعة العدوية، الامام الغزالي، ابن الفارض، السهرودي) انموذجًا، د. كفاح يحيى صالح ، و د. سعدون نجم ، مجلة نسق، مجلد (33) عدد (7) ، 2022م ، 42 .
4. لسان العرب: مادة : عشق، 2356/5 .
5. العشق الالهي عند المتصوفة (رابعة العدوية، الامام الغزالي، ابن الفارض، السهرودي) انموذجًا، د. كفاح يحيى صالح ، و د. سعدون نجم ، مجلة نسق، مجلد (33) عدد (7) ، 2022م ، 40 . نقلًا عن كتاب كشف المحجوب: 107 .
6. الرسالة القشيرية: 610 .
7. إحياء علوم الدين: 857/3 .
8. المرجعيات الثقافية في ديوان بهاء الدين زهير، رسالة ماجستير، جامعة محمد خضير بسكرة، إشراف: د . سليم كرام، الباحثين: حمزة فلياشي – وعبد الحق روبي، 2020م ، 24 .
9. ينظر: المصدر نفسه: 24، نقلًا عن الأسطورة في الشعر العربي المعاصر: 10 .
10. المصدر نفسه: 24- 25 .
11. رابعة العدوية شهيدة العشق الالهي: 130 .
12. التصوف في البصرة "رابعة العدوية العاشقة الالهية": جامعة البصرة، م. د. حبيب عبدالله عبد النبي الفلاح، مجلة الخليج العربي، المجلد: (44)، العدد: (3_4)، لسنة 2016 .
13. صفة الصفوة: 27/4.
14. المصدر نفسه: 27/4 .
15. صفة الصفوة: 29/4 .
16. ينظر: قوت القلوب: 456/1، والفتوحات المكية :358/2-359 ، وينظر: رابعة العدوية شهيدة العشق الالهي: 162.
17. اصطلاحات الصوفية: 279
18. ينظر: الرمز الصوفي في قصيدة "احبك حبين" لرابعة العدوية: رسالة ماجستير، جامعة أحمد دراية ادرار، إشراف: د. نواصر سعيد، الباحثتين: بركاوي شيماء، كرومي كريمة، 2022م، 30. وينظر: رابعة شهيدة العشق الالهي: 65 .
19. رابعة العدوية شهيدة العشق الالهي: 65 -66 ، نقلًا عن كتاب " قوت القلوب": 56/2 .
20. قوت القلوب: 57/2 .
21. المصدر نفسه: 58/2 .
22. المعجم الصوفي: 30/3 .
23. قوت القلوب: 456/1 .
24. ينظر: رابعة العدوية امامة المعشوقين والمحزونين: 19 .
25. ينظر: سير أعلام النبلاء: 242/8-242 .
26. رابعة شهيدة العشق الالهي: 51 .
27. المصدر نفسه: 51 .
28. ينظر: الدر المنثور في رباب الخدور: 1/ 366_367 .
29. ينظر: رابعة العدوية العاشقة الإلهية: م. د. حبيب عبدالله عبد النبي الفلاح، مجلة الخليج العربي، المجلد: (44)، العدد: (3_4)، لسنة 2016 .
30. تذكرة الاولياء: فريد الدين العطار النيسابوري (618 هـ) – ترجمة : د. منال اليمني عبد العزيز: 1/ 267 .

31. ينظر : رابعة شهيدة العشق الالهي : 59 .
32. ينظر: المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
33. ينظر: رابعة العدوية امامة العاشقين التي افنت حياتها في الحب، بحث على الانترنت، لمحمد شعبان ايوب، 2019/2/17 .
34. الروض الفائق في المواعظ والرقائق: 117 .
35. ينظر: المرجعيات الثقافية في شعر فتيان الشاغوري: رسالة ماجستير، 11 .
36. معجم آيات الاقتباس: 19 .
37. رابعة شهيدة العشق الالهي: 27 .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1) إحياء علوم الدين : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي(1963م)، ط1، القاهرة – دار الشعب .
2) الاسطورة في الشعر العربي المعاصر: يوسف حلاوي، دار الأدب للطبع والنشر ، بيروت – لبنان، 1994م .
3) اصطلاحات الصوفية : كمال الدين عبدالرزاق الكاشاني، صححه وقد له مجيد هادي زاده، انتشارات حكمت – طهران 1318هـ .
4) تذكرة الاولياء : فريد الدين العطار النيسابوري (ت:618هـ) – ترجمة: د. منال اليمني عبد العزيز : 267/1 .
5) الدر المنثور في رباب الخدور: جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) ، دار الفكر – بيروت سنة 1403هـ .
6) رابعة العدوية "إمامة العاشقين والمحزونين": د. عبد المنعم الحنفي ، دار الرشاد ، القاهرة – مصر ، 1996م .
7) الرسالة القشيرية: عبد الكريم بن هوازن القشيري (1988م) ، تحقيق: عبد الحليم محمود، القاهرة – دار الكتب الحديثة .
8) الروض الفائق في المواعظ والرقائق: الشيخ الحريفيش، المطبعة الميمنية – القاهرة – مصر، 1886 .
9) سير اعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ) ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، وحسين الاسد – الناشر مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان، ط9 ، سنة 1413هـ – 1993م .
10) شهيدة العشق الالهي "رابعة العدوية": عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية ، ط2، 1962م .
11) صفة الصفوة – أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:597هـ)– تحقيق: محمود فاخوري، د . محمد رواس قلعة جي ، دار المعرفة – بيروت – لبنان ، ط2 ، 1399هـ–1979م .
12) قوت القلوب: أبو طالب المكي، المطبعة المعينية ، مصر 1345هـ .
13) كشف المحجوب: أبو الحسن علي الهجويري (1980م) ، تحقيق: إسعاد قنديل، بيروت – دار النهضة.
14) لسان العرب: ابن منظور، ج5 ، ط1، القاهرة – دار المعارف .
15) المعجم الصوفي: د. سعاد الحكيم، المؤسسة الجامعية للطباعة والنشر – بيروت – لبنان ، ط1، سنة 1401هـ ، 2003م .
16) معجم آيات الاقتباس: حكمت فرج البدري، ط1 ، دار الرشيد – بغداد، 1980م .
17) موسوعة شاعرات العرب (من الجاهلية حتى نهاية القرن العشرين) : عبد الحكيم الوائلي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الاردن – عمان ، ط1 ، 2000م .

الرسائل والاطاريح

- الرمز الصوفي في قصيدة "احبك حبين" لرابعة العدوية: رسالة ماجستير، جامعة أحمد دراية ادرار، إشراف: د. نواصر سعيد، الباحثتين: بركاوي شيماء، كرومي كريمة، 2022م.
- المرجعيات الثقافية في ديوان بهاء الدين زهير، رسالة ماجستير، جامعة محمد خضير بسكرة، إشراف: د. سليم كرام، الباحثين: حمزة فلياشي – وعبد الحق روبي، 2020م .

- المرجعيات الثقافية في شعر فتيات الشاغوري: رسالة ماجستير، جامعة كربلاء ، إشراف: د. حربي نعيم محمد الشبلي، الباحث: أحمد عباس مهدي الحريشاوي، 2022م .

المجلات والدوريات

- أشعار الحب الالهي من رابعة العدوية إلى ابن الفارض: د. نجم مجيد علي، الجامعة المستنصرية، مجلة كلية التربية الاساسية، العدد الثامن والخمسون، 2009، 6 .
- التصوف في البصرة "رابعة العدوية العاشقة الالهية" : جامعة البصرة، د. حبيب عبدالله عبد النبي الفلاح، مجلة الخليج العربي، المجلد: (44)، العدد: (3_4)، لسنة 2016 .
- رابعة العدوية امامة العاشقين التي افنت حياتها في الحب، بحث على الانترنت، لمحمد شعبان ايوب، 2019/2/17 .
- العشق الالهي عن المتصوفة (رابعة العدوية، الامام الغزالي، ابن الفارض، السهرودي) انموذجًا، د. كفاح يحيى صالح ، و د. سعدون نجم ، مجلة نسق، مجلد (33) عدد (7) ، 2022م ، 42 .